شبلي العيسمي



مناقشات حول مفهوم
الرسالة
العربية الخالدة



منشورات الطليعة

1989

مناقشات حول مفهوم الرسالة العربية الخالدة

شبلي العيسمي
بغداد 1981

١ ـ تمهيد في حوار :

لو رجعنا الى المقتطفات المتعلقة بمعاني الرسالة العربية في قسم الملاحق ، لوجدنا ان ثمة الفاظا وتعابير كالقدر والايمان والخلود والروح . . . مرتبطة بتلك المعاني وتوحي لاول وهلة ، بأنها صادرة عن منطق مثالي تجريدي في الفلسفة وعن مؤثرات دينية ونزعة رومانطيقية بعيدة عن العلم والواقعية .

ولعل من المناسب في هذا الصدد ان ابدأ بتلخيص الحوار الذي جرى بيني وبين احد الاصدقاء المطلعين على تراث الحزب ، ودار حول الايديولوجيات المعاصرة والمؤثرات المادية والمثالية فيها ، كما تطرق الى الرسالة العربية في شعار الحزب . وفي هذا الحوار ما يوضح بعض مظاهر اللبس والغموض في اذهان الاخرين عن المنطلقات العلمية لايديولوجية حزب البعث ورسالته . وبعد نقاش قصير بادرني ذلك الصديق .

فقال : هل تؤمن بوجود الله ؟

قلت : ولم هذا السؤال ؟

قال : بتداعي الافكار ومن وحي المناقشة .

قلت : انني كإنسان اعتقد بوجود خالق لهذا الكون العظيم المنظم الحافل بالاسرار ، ولكنني لا اقحم نفسي بعقائد

لاهوتية وغيبية ، عجز العلم والعقل حتى الآن عن اتخاذ موقف واضح وقاطع بشأنها . واعتقد ان الاديان في جوهرها ودعوتها الى المحبة والاخاء والتسامح تنطوي على الخير والنفع للبشرية ، ولكنني ضد المتعصبين والرجعيين من رجال الدين الذين يستغلون الدين للمحافظة على اوضاع الجمود والاستغلال والتخلف ، ويعاكسون تيار العلم والتقدم والانفتاح على الحركات الفكرية المعاصرة .

قال : وما رأيك بالاسلام ؟

قلت:اعتز به وافخر لانه يشكل اضخم قطعة من تاريخ الامة العربية وتراثها واكثرها تأثيرا وثراء في حياتها ، ولانه مثل بظهوره ثورة على القديم ونموذجا لقدرة العرب على التجدد والابداع ، وحقق وحدتهم وفجر طاقاتهم ، فانبعثت الحضارة العربية الاسلامية ، وقدمت خدمات جلى للانسانية . كما حافظ الاسلام على وحدة العرب الثقافية والروحية في فترات التمزق والسيطرة الاجنبية ، وكان سدا منيعا في وجه التفتت القومي والذي سعت اليه الامبريالية ومهدت له عوامل الجهل والتخلف .

قال : ما هو موقف الحزب من المعتقدات الدينية ؟

قلت : ان حزب البعث لا يفرض على اعضائه عقيدة دينية معينة ، ويؤكد في دستورة على « ان حرية الرأي والاعتقاد لا يمكن لاي سلطة ان تنتقصها ، وان الرابطة القومية هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدولة العربية التي تكفل الانسجام

بين المواطنين وانصهارهم في بوتقة واحدة ، وتكافح سائر العصبيات المذهبية والطائفية والقبلية والعرقية والاقليمية » لانها تؤذي وحدته القومية وتشل طاقاته التي يجب ان توجه لبناء المجتمع الديمقراطي الاشتراكي الموحد . وباختصار فإن الحزب ، بوصفه حزبا قوميا شعبيا اشتراكيا ثوريا علميا ، لا يقحم قضايا الدين في ايديولوجيته ومواقفه .

قال : ألم يتعرض الحزب في مؤتمراته القومية الى القضايا الدينية ؟

قلت : لا ، لم يبحث دستور الحزب ولا منطلقاته النظرية في العقائد الدينية ولم يتطرق اليها اي مؤتمر من مؤتمراته القومية .

قال : هل يأخذ الحزب بالعلمانية ؟

قلت : يسعى الحزب لعدم زج امور الدين بأمور الدولة . ففي عام ١٩٥٠ تظاهر الاخوان المسلمون في القطر السوري مطالبين بالنص في دستور البلاد على ان يكون الاسلام دين الدولة . فقاوم الحزب ذلك واحبطه معتبرا الرابطة القومية كما ذكرنا هي الرابطة الوحيدة التي تكفل الانسجام بين المواطنين .

وفي المؤتمر القومي الثالث وردت اشارة الى « ابراز الطابع العلماني التقدمي والانساني للحركة العربية »

اما في المؤتمر القومي الرابع فقد ورد في احدى توصياته العامة ما يلي : « يعتبر المؤتمر الرجعية الدينية ، احدى المخاطر

الاساسية التي تهدد الانطلاقة التقدمية في المرحلة الحاضرة . ولذلك يوصي القيادة القومية بالتركيز في النشاط الثقافي والعلمي على :

١ ـ علمانية الحزب خاصة في الاقطار التي تشوه الطائفية فيها العمل السياسي .

٢ ـ ابراز التناقضات بين مصالح الفئات الرجعية المتاجرة بالدين وبين مصالح الجماهير الشعبية» .

والحق انه حيث توجد نعرات واثارات طائفية مفتتة لوحدة الامة ، مبدّدة لطاقاتها ، لا يكون العلاج بمسايرة مدبريها ومداراتهم وانما بكشفهم وتعرية متاجرتهم بالدين ، مع توضيح الموقف العلمي والعلماني البديل ثم تكثيف التوعية على التسامح وضرورة احترام المعتقدات الدينية لكل المواطنين .

قال : هل هنالك فرق بين مفهومكم للعلمانية وبين ما هو معروف في الغرب ؟

قلت : هنالك بعض الفروق تتلخص في ان قولنا بالعلمانية لا يعني التنكر للتراث العربي وقيمه الروحية الايجابية كما يفعل بعض اصحاب الفلسفة المادية في الغرب .

قال : هل افهم من ذلك ومن خلال ما كتب عن الرسالة الخالدة والقيم الروحية في ادبيات الحزب ، انكم تأخذون بالفلسفة المثالية او تغلبونها على الفلسفة المادية ؟

قلــت : لم يكن الحــزب معنيا بالابحــاث الفلســفية المجردة ، ولم يتبنَّ نظرية فلسفية جاهزة ، وبالتالي فليس من الصحيح ان نحكم عليه بأنه يأخذ بالفسلفة المادية او المثالية من خلال بعض التعابير او المقالات ، او من خلال النقد الموجه من احد القياديين لنظرية معينة كالمادية الجدلية او التاريخية . امـا الذين يؤ منون بالمذهب المادي في الحياة ، ثم يصمـون من لا يوافقهـم على رأيهـم بأنـه مثـالي خيالي ، فأنهـم يعبـرون عن التزامهم بنظرة مذهبية دوغماتية لا تصلح مقياسا للحكم على الاخرين . فمن البديهي ان المتحمس للفلسفة المادية يرى في القائلين بالفلسفة الروحية اشخاصا مخطئين مجانبين للعلم ، في حين يرى خصومه الروحيون انه شخص محدود ولا يفقه جوهر الحياة وكنهها .

قال : لاحظت ان المبادىء الاساسية الثلاثـة في دستـور الحزب تقرر احكاما وقضايا فكرية لها طابـع الايمـان السابـق للدراسة والتحليل العلمي . فكيف تفسر ذلك ؟

قلت : صحيح ان هذه المبادىء وضعـت بهـذه الصيغـة الايمانية ولكنها لم تكن وليدة الذهن المجرد والتفكير المثالي ، بل كانت منبثقة عن معرفة عميقة حية لواقع الامة العربية اولا ولماضيها وتراثها ثانيا ، والتيارات الفكرية والثـورية المعـاصرة ثالثا . ولعل مسيرة الحزب النضالية الطويلة والاحداث العربية والدولية اللاحقة ، والكتابات التي استوحت من هذه المبادىء

خير توكيد لمدى استيعاب ايديولوجية حزب البعث العربي لواقع المجتمع العربي وحاجاته ولمدى انسجامها مع طبيعة الحياة العلمية والعملية .

وأود ان اشير في هذه المناسبة الى ان البعثيين الاوائل كانوا يرددون شعار الحزب بحماسة شديدة ويتأثرون به بانفعال كبير رغم ان فهمهم له في ذلك الحين لم يتعد معنى الحماسة لان تكون الامة العربية موحدة وذات رسالة عظيمة تؤديها تجاه نفسها والانسانية . ولو لم يكن هذا الشعار معبرا في اصوله وجوهره عما يحس به الجيل العربي الجديد في اعماقه ، وعما يتطلع اليه ، لما كان ذلك التأثير كبيرا الى الحد الذي اشرت اليه .

نقف عند هذا الحد من الحوار الذي تناول بعض النقاط ذات الصلة بالمنطلقات العلمية للرسالة ، والتي كان لا بد من توضيحها كتمهيد لما سنذكره عن هذه المنطلقات .

٢ ـ مفهومنا للايمان والقدر :

لو امعنا النظر فيما ورد في المبدأ الثالث من دستور الحزب عن معنى الرسالة العربية ، لوجدناه يقرر ان الامة العربية واحدة ذات رسالة خالدة ، تظهر باشكال متجددة متكاملة في مراحل التاريخ المتعاقبة وترمي الى . . . الخ .

ولئن كان في هذا التقرير نوع من الاسلوب الايماني الذي

يقطع دابر الشك والتردد في تبني مبدأ وحدة الامة ورسالتها ، والنضال من اجلها ، فانه يتضمن كذلك تحديد المضامين الانسانية للرسالة ومراميها ، وما يجب على العرب ان يفعلوه لمحاربة الاستعمار والتعاون مع الشعوب الاخرى . أي ان فيه تأشيرا لطريق النضال للأهداف المستقبلية ، ولما يجب ان يكون وليس مجرد طرح ذلك المبدأ كمسلمة نظرية ، فضلا عن ان الممارسات النضالية اللاحقة لطرحه ، اكدت حقيقة ومبررات وجوده وجدواه وقوة تعبيره عن المشاعر القومية للجيل العربي الجديد .

وعندما يقول الرفيق المؤسس ان الرسالة ايمان قبل كل شيء . . وان الايمان يسبق المعرفة الواضحة ، فلانه يرى الحياة من وجهة نظره قائمة على الايمان . ويبرر هذا في قوله « ان الاساس الخالد لعملنا الذي لا يتبدل ولا يستغنى عنه هو الايمان . . . هذه نظرة غيبيه بلا شك ولكن الحياة برمتها قائمة عليها » ثم ان هذا الايمان لن يأتي بسهولة بل نصل اليه « من خلال الالام ومن خلال الصراع بيننا وبين قدرنا ، بيننا وبين انفسنا ، الى استكشاف حقيقتنا الانسانية التي لا تقاس بالمادة ولا بالتعبيرعنها» . وهنا لا بد لنا من وقفة نبين فيها معاني الايمان والقدر ، بعد ان وضحنا معاني الرسالة والخلود والتجديد والروح بسبب من صلتها بموضوع البحث .

الايمان : لغة هو التصديق . والايمان في الشرع اظهار

الخضوع والقبول بالشريعة وكما اتى به النبي . والايمان في الفلسفة هو التصديق الذي يطمئن له القلب من دون ان يؤيده او يكذبه برهان منطقي او مشاهد حية . وهو مغاير للعلم .

اما في تراث حزب البعث وادبياته ، فهو الايمان المنسجم مع العقل والعلم ولا يتناقض معهما . الايمان الفاعل الخلاق الدافع الى التضحية والبذل والابداع في الحركات الثورية التاريخية وبين الافراد .

هل تستوي بقوة التأثير والاندفاع ، حركة سياسية واجتماعية تعمل لنهضة شعب ، وهي لا تثق بنفسها وبطاقات شعبها ، مع حركة اخرى تناضل والثقة بقدرتها وبشعبها تعمر قلوب اعضائها وتملأ نفوسهم ؟ وبما انه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فانه كذلك لا يستوي الذين يؤمنون بقضيتهم مع الذين لا يؤمنون بها . اذ لا ريب في ان قدرة الانسان ، اي انسان على تحقيق طموحه في الحياة ، لا تستند الى الجهد الذي يبذله من اجله فحسب ، وانما تستند ايضا وبشكل اساسي ، الى مدى ثقته بنفسه وحماسته وايمانه بسلامة هدفه ، لان ذلك يمده بالصبر والارادة والثبات والتصميم ، وهي الصفات الضرورية لتوفير النجاح وتحقيق الطموح .

وتحضرني بهذه المناسبة جملتان تعبران ابلغ تعبير عن معانقة العلم للايمان . الجملة الاولى قالها والد المخترع العظيم ماركوني (مخترع اللاسلكي والراديو والتلفزيون) « إمض يا

ولدي في طريقك التي تؤمن بها ، فمن لا يؤمن بأن المعجزات يمكن ان تتحقق لا يمكنه ان يحقق اختراعا » .

اما الجملة الثانية فمكتوبة على نصب الاخوين رايت مخترعي الطائرة تقول :« تخليدا لذكرى غزو الجو بفضل قوة الارادة والايمان الذي لا يتزعزع » .ان الحزب اذا ما اراد تعزيز إيمانه بعقيدته ورسالته ، فلا يحتاج الى تعابير مثالية غيبية غامضة والفاظا عامة مجردة ، ولا تقيده احكام ثبوتية او حدسية صوفية « فهذه العقيدة هي اننا نمثل مصلحة الامة وارادتها . اذن نعتمد على تأييدها ، وهذا التأييد الذي هو في حالة الكمون سينتقل الى حالة الظهور والفعل . فقوانا ليست هي هذه القوى المنظورة المحدودة . . واضيف اننا نعتمد على قوة اخرى هي ان حركتنا في اتجاه التقدم الانساني ،فهدفها ان ترتفع بالامة من حالة التأخر الى حالة العمل والجد والابداع،والتاريخ هو في هذا الاتجاه ونحن نمشي بأتجاهه » .

واذا اعتبرنا « الرسالة هي الانقلاب ونتائجه » وان « الشروط اللازمة للحركة الانقلابية تقوم على الوعي اولا وعلى الشعور بالمسؤولية ثانيا وعلى الايمان اخيرا» لأدركنا ان الايمان يرتكز على الوعي اي الفكر العلمي وعلى الشعور بالمسؤولية المؤدي للنضال ويمتزج بهما ، بل يأتي بعدهما بالدرجة والمرتبة . ونخلص مما تقدم الى انه لا خلاف حول اهمية الايمان ودوره وضرورته لاية حركة تاريخية نضالية كحركة البعث العربي

الاشتراكي . ولكن الخلاف حول الاسلوب او الكيفية التي نستطيع بها خلق هذا الايمان وتأجيجه . وفي القرون القديمة الماضية كانت المجتمعات البشرية تتقبل فكرة الوحي وظهور العباقرة الانبياء . وكان كافيا ان يصدق الانسان نبوءة احدهم حتى يؤمن بكل اقواله وتعاليمه ويسلم بأوامره وتوجيهاته ويضحي بما يطلب منه . ولكن من نافلة القول ان نشير الى تعذر ذلك في هذا العصر ، حيث لم يعد بالامكان ظهور الانبياء ولا التصديق بالمعجزات ولهذا كان لابد من خلق الايمان وتكوينه وتنميته في النفوس عن طريق المعرفة والعقل والمنطق القوي ، والادلة العقلانية السديدة حول اهمية الاهداف التي يطلب تحقيقها . وبعد ان تتكون هذه القناعة الوجدانية وترتبط ايضا بالقناعة حول ضرورة العمل والتضحية من اجلها ، تصبح الممارسة النضالية وفق ذلك ، عاملا معمقاً لهذا الايمان ومرسخاً له . وهكذا نصل الى الايمان القائم على المعرفة والعقل والوعي الممتزج بالارادة والممارسة والتصميم . على ان هذا لا ينفي فائدة الاساليب العاطفية والرومانطيقية ودورها في تنمية هذا الايمان وتقويته في بعض الحالات والظروف .

لفظ القدر : القدر في اللغة القضاء والحكم ، والطاقة والقوة ، ويطلق على ما يحكم به الله من القضاء على عباده . « وفي المفهوم الديني المثالي ، هو قوة خارقة للطبيعة تحدد كل الاحداث في حياة الانسان تحديدا مسبقا . »

وعند الفيلسوف كانت تعني ضرورة عمياء .« ويطلق القدر ايضا على القدرة الخفية التي تسير موجودات هذا العالم وفق نظام محتوم ، يتعذر على الانسان صاحب الفكر والارادة ان يخالف اسبابه ويجتنب نتائجه . وقد يطلق القدر على المصير فنقول مصير الانسان اي منتهى حياته وعاقبتها . ويطلق القدر على اسناد افعال العباد الى قدرتهم ، ولذا لقب المعتزلة بالقدرية لانهم يقولون ان كل عبد خالق لافعاله »

اما القدر كما نفهمه فلا يستند الى المعاني الدينية او الغيبية والفلسفية المجردة ولا يعني الغاء الارادة الانسانية او اضعافها ، ذلك لان الحزب يحارب كل نزعة اتكالية او جبرية تضعف من اندفاع الانسان وتحد من زخمه النضالي ، كما يشدد على ان ارادة الانسان « وحريته وفكره وفعاليته لها دور اساسي في بناء التاريخ وليست مجرد محصلات لتاريخ مسير بقوانين مادية او روحية غيبية حتمية »

اننا نفهم من القدر ذلك المعنى الذي يعزز ارادة الانسان وتأثيره كما فعل المعتزلة ، وكما تفعل كل حركة علمية ثورية معاصرة .

« للقدر مفهوم عامي وهو ان الانسان لا استطاعة له ولا قوة ولا حول ، والقدر بمعنى آخر مناقض لذلك ، هو المثل الاعلى الذي نسعى له ، هو التعبير عن ارادتنا ، ولكن لكي نعطي هذا المثل قوة فوق الفرد ، نجعله شيئا ازليا اي من قوانين

الكون . . . والقدر في المفهوم العامي شيء سلبي يقيدنا ويقتل فينا الحرية . اما ايماننا بما يكون محببا فيعني اننا تقمصنا القدر »

وبعد فلعلي اوجز الفكرة الاساسية لمعنى القدر فيما يلي : ان المرحلة التاريخية التي يعيشها العرب بظروفها ومعطياتها الموضوعية ، بما فيها من تجزئة وتخلف وظهور الوعي القومي والتطلع للانبعاث الشامل ، تفرض على العرب ان يواجهوا هذا الواقع وان يسلكوا طريق النضال لتحقيق انبعاثهم المنشود . وبهذا المعنى يكون قدر الجيل العربي الجديد هو النضال كما كان قدر العرب المسلمين في صدر الاسلام .

كان ماركس يقول ان للطبقة العاملة دورا تاريخيا تؤديه للانسانية ، بسبب الشروط الموضوعية المحيطة بها ، ولانها الطبقة المؤهلة للقيام بعبء الثورة ، وتبديل الواقع الذي تهيمن عليه الرأسمالية الاستغلالية ، وهذا يعني من حيث النتيجة ان مهمتها او دورها اصبح كالقدر لا مناص منه ولا تهرب عنه ، وهذا ما يمكن ان يعبر عنه بأنه قدرها .

ومن المفاهيم المقبولة والجميلة في تعبيرها وتأثيرها ، تلك التي تربط القدر بإرادة الشعب والتي عبر عنها الشاعر العربي الشابي بقوله :

اذا الشعب يوما اراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر

والحق ان المفاسد والكوارث والالام ، كائنة ما كانت من العمق والضخامة ، لا تؤدي الى النهوض والثورة والتغيير الجذري ، ما لم يتوفر الوعي بين افراد الشعب على خطورة استمرارها والشعور بضرورة تغييرها ، وما لم تتوفر الطليعة المنظمة المناضلة . وبعبارة اخرى اذا كان قدرنا ان نعيش في مرحلة التجزئة والتخلف لامتنا العربية ، فإننا لن نستطيع تغيير هذا الواقع المرير وصولا الى مستقبل مشرق ، الا بالمزيد من الوعي العلمي والتنظيم المحكم والارادة المصممة والشعور بمسؤولية النضال والايمان بضرورته .

بالماضي، وفي بعض المعتقدات الدينية ، كان ايمان المقاتل بالقضاء والقدر ، وبأنه اذا استشهد يدخل الجنة او ينال قطعة منها بواحد من صكوك الغفران ، كان هذا الايمان ، يمده بطاقة عظيمة من الصبر والشجاعة ورباطة الجأش بغض النظر عن مدى مطابقة اعتقاده مع الحقيقة العلمية . على ان هذا المستوى من الايمان النافع الفعال في حياة المناضل ، لا يمكن الوصول اليه في هذه الايام ، الا بما ينسجم مع منطق العصر ومفاهيمه وحاجاته واساليبه ، وما لم يرتكز الى اسس عقلانية ، علمية ، ثورية، ويعبر بعمق عما تشعر به الاكثرية .

صحيح ان ثمة اعدادا غير قليلة من البشر في هذا العصر ، لا تزال مؤهلة للايمان بأفكار وعقائد سياسية او اجتماعية او فكرية روحية مع الاندفاع وراء قادتها الى الحد

الذي تضحي بالنفس والنفيس من اجل ما تعتقد بصحته ، من دون ان يستند هذا الاعتقاد الى اسس علمية وفكرية سليمة ، ولكن من الصحيح ايضا ان حركات من هذا النوع ، لن يكتب لها البقاء والتوسع والسيطرة فضلا عن عجزها عن الارتفاع الى مستوى الرسالة الذي يخلق نهضة جذرية شاملة في الامة . ولنا في التاريخ امثلة كثيرة لحركات دينية او اجتماعية بلغ ايمان اتباعها بها حد التصوف والايمان المطلق بصحتها ، والتضحية بأرواحهم من اجلها ، كبعض الحركات الصوفية في الاسلام . اما بعض الايديولوجيات المعاصرة كالنازية والفاشية ، فانهما ايضا لم تعيشا ، وباءتا بالفشل رغم المحاولات الضخمة لاعطائهما طابعا علميا واحاطتهما بفلسفة ودعاية واسعتين ، حول النظرية العرقية وتجسيد الزعيم البطل لآمال الامة . . .

ولا ريب في ان للأسس اللاعلمية الظالمة دورا اساسيا في فشلهما وهزيمتهما . ونحن على يقين ان الصهيونية ستلقى نفس المصير لانها مثلهما تقوم على العنصرية والتعالي والظلم . . .

ان اية حركة سياسية اجتماعية في هذا العصر ، تقوم على الايمان والشحن العاطفي ، من دون الارتكاز الى منهج علمي ومنطق عقلاني ، لا يمكنها ان تعيش وتنمو ، بل ستبقى محصورة بافراد او مجموعات قليلة ، ولفترة زمنية محدودة . ولئن كان من غير المنتظر ظهور الانبياء والمعجزات في هذا العصر لدفع الشعوب نحو الانبعاث الشامل المنشود ، على اسس

ومفاهيم ومنطلقات ايمانية وروحية مثالية كما حصل في التاريخ القديم ، ولئن كان ايضا من غير المقبول انقياد الشعوب وراء زعيم يدعي الالهام والقدرة على تجسيد امال شعبه في شخصه ،

فقد اصبح من المؤكد ان الشروط المقبولة والضرورية لنجاح اية حركة تاريخية هي ان تتسم بالعلمية والثورية ، وان تبعث الايمان باعضائها عن طريق العقل والمنهج العلمي الثوري . ومن هنا جاء توكيد الحزب على هاتين السمتين العلمية والثورية . هكذا نستطيع التأكيد مرة اخرى انه لا خلاف على ان الايمان بعقيدة او فكرة يدفع صاحبه الى التضحية والصبر ويضاعف قدراته النضالية ، ولكن الخلاف على الكيفية او على الطريقة والوسيلة التي يتكون بها هذا الايمان ليصبح قويا عنيفا ومستمرا الى زمن طويل . لقد ادرك حزب البعث العربي الاشتراكي هذه الحقيقة منذ نشأته ، فجاءت اهدافه ومبادئه ووسائله مصداقاً لها ، فهو قد اكد علميته وثوريته من خلال مناداته بالوحدة والحرية والاشتراكية وربطه بينها ، مع توكيده على الاسلوب الانقلابي اي الثوري ، واعتماد الجماهير وسيلة الاهداف وغايتها ، كما اكد على المثالية الواقعية ، عندما شدد على السمتين الاخلاقية والانسانية في مبادئه وسلوكه . ليس هذا فحسب بل ادرك ان قوة تعبير هذه الاهداف عن حاجات الامة العربية وطموحها ، لا تكفي لابقاء جذوة النضال من اجلها قوية نامية ، بل لا بد من ابراز عوامل التحدي المتجسدة بالامبريالية والصهيونية والرجعية والتخلف ، ومن استمرار التوعية

والتثقيف والتجديد والانفتاح على تجارب الحركات الثورية العالمية المعاصرة ، والانتفاع من كل جديد مفيد للنضال العربي . ولا بد كذلك من تغذية هذا الايمان بالممارسة النضالية الحية والعمل المنظم .وبهذا كله ترسخ في نفس الانسان المناضل القناعة بأن نضاله وتضحياته من اجل ايديولوجيته انقاذ له ولأمته في آن واحد ، وبالتالي يصبح اقباله على النضال واستجابته لمتطلباته امراً طبيعياً وعاديا بل وربما سارا ومريحا .

٣ ـ بعض المنطلقات العلمية والواقعية :

بعد ان أوضحنا معاني الالفاظ والتعابير المتصلة بالرسالة ، نستعرض جوانب اخرى من اسسها العلمية منطلقين من التعريف التالي الوارد في ادبيات الحزب : « الرسالة هي الانقلاب وثمراته » ـ « والبعث هو الانقلاب » « وهو اداة تحقيق الرسالة » . فإذا لاحظنا ان الانقلاب في مفهوم حزب البعث العربي الاشتراكي هو تغيير واقع المجتمع العربي المتخلف تغييرا جذريا شاملا لجميع مناحي الحياة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية . واذا لاحظنا ايضا ان الشروط المطلوبة للحزب الثوري القادر على تحقيق هذا الانقلاب وحمل رسالة الامة العربية هي ان يكون « هو امة مصغرة للامة الصافية السليمة الراقية التي يريد ان يبعثها » لتبين لنا من خلال ذلك ، مستوى الهدف والوسيلة او الغاية والاداة . على انه لا بد ان نضيف ان تحقيق الانقلاب المنشود بإقامة الوحدة والحرية والاشتراكية ، لن يقف بنتائجه عند توفير

القوة والرقي والتقدم للامة العربية وحدها ، وانما سيمكنها من مكافحة الاستعمار والظلم والاستغلال ، ومن تعزيز الحضارة الانسانية وتجديد القيم البشرية بصورة اكثر فاعلية ونشاطا ، وتتمكن بهذا من الارتفاع الى مستوى رسالتها وتحقيق ثمرات الانقلاب .

ثم ان الحزب عندما يطالب اعضاءه بأن يكونوا صورة مصغرة للامة الصافية السليمة الراقية ، فإنما يطالب بتوفير مستوى معين من الشروط النضالية والاخلاقية والعلمية والتنظيمية بحيث تجعلهم قادرين على تفجير طاقات الجماهير وقيادتها ، والمضي قدما في طريق الاهداف القومية والانسانية المذكورة . ورغم ان التشبيه اعرج كما يقول المثل الالماني ، فإنما نسوقه ونلجأ اليه احيانا لتوضيح فكرة معينة وتقريبها الى الذهن . ولعلنا نستطيع ان نشبه الرسالة العربية في بداية طرحها ، وفي ظروف الضعف والتخلف الراهنة ، كنواة صغيرة مهملة منسية ، ولكنها مع ذلك تحمل كل مقومات الحياة ، وتكمن فيها القدرة على التطور والنمو ، لتصبح شجرة كبيرة وارفة الظلال نستمتع بفيئها وبعطر ازهارها ، ونجني ما لذ وطاب من ثمارها . ولكن من البديهي انها لن تبلغ هذا المستوى ما لم توضع في تربة صالحة وبيئة ملائمة ، وما لم تتعهدها يد الانسان وعقله ، بالرعاية والاهتمام . فنواة الرسالة تتمثل في هذه المرحلة بظهور البعث العربي الاشتراكي ، كحركة تاريخية ذات اهداف قومية وانسانية عظيمة ونضال منظم ، تعبر

عن ارادة الامة وطموحها ، وتستهدف تثوير طاقات الجماهير وقيادتها لتحقيق اهدافها .

والتربة الصالحة هي هذه الطاقات الضخمة الثاوية في اعماق الجماهير والتي يحول التخلف والتجزئة وكل القوى المعادية دون ظهورها الى حيز الفعل والتطبيق ، باتجاه التقدم والنمو لتحقيق اهداف الامة . ومن الطبيعي ان تبدو هذه الطاقات الغنية ، فقيرة محدودة لا وزن لها ولا اهمية ، ما دامت مهملة مكبوته كامنة ، ولكن من الطبيعي ايضا ان تغدو ضخمة فاعله اذا ما تهيأت لها الشروط اللازمة للتفتح والانطلاق .

اما البيئة الملائمة لنموها وانطلاقها فهي ما تعانيه الجماهير المسحوقة من الام وظلم واستغلال ، وما تلاقيه من تحديات من الصهيونية والامبريالية والرجعية الحاكمة « وإن آلام العروبة قد عادت الى أرض العرب بدرجة من القسوة والعمق لم يعرفها عرب الجاهلية ، فما احراها بان تبعث فينا اليوم ثورة مطهرة مقومة كالتي حمل الاسلام لواءها . وليس غير الجيل الجديد يستطيع ان يضطلع بها ويقدر ضرورتها . لان آلام الحاضر قد هيأته لحمل لواء هذه الثورة » .

واما الاداة التي ترعى الرسالة وتعنى بها ، فهي هذه الجماهير بطلائعها الواعية الثورية المنظمة ، والتي تناضل وفق ايديولوجية ووسائل علمية ثورية سبق لحزب البعث ان حددها في ادبياته . غير ان الحزب لم يطالب المواطنين العرب بالايمان

بوحدة الامة العربية ورسالتها من دون ان يعمل على توضيح مشروعية هذا الطلب وواقعيته وضرورته ، اي انه لم يتوقف عند طرح هذا الشعار ، بل سعى باستمرار لتوضيح مضمونه ومحتواه . اجل انه لم يقل بوحدة الامة ورسالتها ثم سكت وتوقف عند صيغة التقرير والوعظ ، بل حدد الطريق والوسائل ، ومبررات الايمان وفوائده ومقوماته ومنطلقاته .

ان الوحدة وهي النصف الاول من هذا الشعار ، كانت في نظر الكثيرين ضرباً من الوهم والخيال والبعثيون الاوائل الذين تحمسوا لها في بداية الاربعينات كانوا في نظر هؤلاء اشبه باطفال مثاليين خياليين يرثى لهم ، ولجهدهم الضائع ، بل كانوا يتعرضون احيانا الى نوع من الهزء والابتسامة الساخرة . ولكنهم مضوا في طريقهم بايمان وثبات حتى اصبحت الوحدة في هذه الايام مطلبا جماهيريا لا يجرؤ احد على المجاهرة بالعداء له او المكابرة بفوائده ، وضرورته للعرب اذا ما ارادوا تحقيق ما ينشدونه من قوة وتقدم.واذا كانت فكرة الرسالة ، لم تصبح بعد واضحة كفكرة الوحدة ، فسيأتي اليوم الذي تغدو فيه امرا واضحا طبيعيا نتيجة للتوعية والنضال والاقتراب التدريجي من تحقيق الاهداف . وان تاريخ الحركات الثورية الشاملة ذات النتائج العظيمة يؤكد هذه الحقيقة وهي : ان كل فكر جديد وثوري غير مألوف يبدو عند ظهوره غريبا مستهجنا ويلقى النقد والمعارضة . ولئن لم يكن الحزب هو البادىء بطرح فكرة الوحدة العربية ، فانه اول من اعطاها محتوى علميا وثوريا لم

يكن معروفا من قبل ، وذلك بتأكيده على مضمونها الديمقراطي الاشتراكي ، وربطه بين هذه الاهداف الثلاثة ربطا عضويا حيا ، ومن ثم توكيده بالحاح واستمرار في كتاباته ونضاله على اهميتها وضرورتها وشروط تحقيقها ، وكيف انها تعني التخلص من الامبريالية واستغلالها وفرض سيطرتها السياسية والاقتصادية وازالة الاستغلال الطبقي والفقر والتخلف والجهل وكل المعوقات السلبية التي تعرقل انطلاق المواهب والطاقات العربية الدفينة .

هذا ويعتبر حزب البعث العربي الاشتراكي بحق ، حزب الوحدة ، لانه في مقدمة القوى والمنظمات العربية التي اولت الموضوع ما يستحقه من اهتمام على الصعيدين الفكري والنضالي . ومما ورد في ادبيات الحزب عن الوحدة « انها فاعليه وخلق ومغالبة للتيار ، وسباق مع الزمن ، اي انها تفكير انقلابي وعمل نضالي . . وهكذا نصل الى هذه الحقيقة : لا يحقق الشعب العربي وحدة النضال ما لم يمارس نضال الوحدة » .

ومما ورد حول ضرورة الاعتماد على الثقافة والعلم والانفتاح على الحضارات العالمية الراقية والافادة منها ، « ان البعث لا يمكن ان يكون الا على اساس العلم والمعرفة والكفاءات الغنية ، اذ كيف يمكن ان نحقق انقلاباً في حياة امه تخلفت مئات السنين عن مستوى البناء والابداع ، واعرضت عن

المساهمة في الحضارة الانسانية ، بل كيف يمكن ان نرفع امتنا التي كانت سباقة ومجلية من جديد الى مستوى الابداع وخلق الحضارات دون ان نعتمد كل الاعتماد على اساس متين من العلم والثقافة والخبرة الغنية. . . فنحن هنا بحاجة الى الكفاءة والعلم والافادة من خبرة وتجارب الشعوب المناضلة والامم المتحضرة» .   وفي المنطلقات النظرية للحزب نطالع ما يلي«ان ايديولوجيتنا القومية الاشتراكية هي ايديولوجية علمية وثورية ، والعقل العلمي بطبيعته ينفتح دائما على الواقع ويتغذى من كل التجارب ويرفض الاطر المسبقة » .

مما تقدم ومن النصوص المذكورة في الملاحق يتبين لنا ان مفهوم وحده الامة العربية ورسالتها يقوم على اساس من الوعي والعلم والتنظيم ، وعلى منطلقات واقعية نضالية ثورية ، بعيدة عن الاماني الذاتية والتفكير المثالي المجرد .

وهنا رب قائل يقول : ما قيمة هذا كله اذا بقي على الصعيد الفكري والتوجيه النظري أليس الاهم تقديم الادلة العملية على توفر المنطلقات العلمية المذكورة ؟ وحسبنا للاجابة على هذا التساؤ ل المشروع ان نشير الى الامور التالية :

١ ـ ان حزب البعث بالرغم من كثرة الازمات والمؤ امرات التي تعرض لها واستهدفت تصفيته وانهاء وجوده ، فقد ظل في مقدمة القوى العربية المناضلة . ولا يزال يتابع مسيرته النضالية التي مضى عليها اكثر من ثلث قرن في الوقت الذي زالت فيه

وتلاشت احزاب ومنظمات كثيرة سبقته او عاصرته .

٢ ـ ان اهدافه وشعاراته كالوحدة والحرية والاشتراكية اصبحت ـ لقوة تعبيرها عن حاجات المرحلة ـ منتشرة بين الجماهير العربية على نطاق واسع كما ان العديد من المنظمات السياسية في عدة أقطار عربية قد تبناها صراحه او بتعديل طفيف .

٣ ـ ان المنطلقات العلمية لايديولوجية البعث استقطبت نسبة عالية جدا من المثقفين العرب ، الى الحد الذي دفع بعضهم الى تسميته بحزب المثقفين ، فضلا عن انه لا يزال متقدما على الاحزاب الشيوعية العربية في استقطاب الطبقة العاملة رغم ادعائها بتمثيل هذه الطبقة واستنادها الى الماركسية ، كنظرية علمية ومدعومة بقوى عالمية ضخمة .

٤ ـ ان التطورات الراهنة في سياسة الاحزاب الشيوعية وبخاصة في اوروبا الغربية تؤكد صحة المنطلقات التي طرحها الحزب منذ نشأته ، وكانت الاحزاب الشيوعية تراها خاطئة ومجانبة لمنطق العلم والتطور كفكرة القومية والوحدة ، والخصوصية القومية ، والاستقلالية والتركيز على حرية الفرد ودوره ، مع عدم المبالغة بدور العوامل المادية في تطور المجتمعات البشرية ، وعدم الاخذ بديكتاتورية الطبقة العاملة . .

٥ ـ لو لم تكن مبادىء حزب البعث واقعية ومعبرة عن

حاجات الامة العربية ومفصحة عما يعتلج في عقول الشباب العرب ، ويختلج في صدورهم لما اقبلوا عليها وتحمسوا لها بهذا الزخم ولهذا الزمن الطويل .

وبعد « فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض . . »

ان الحديث عن المنطلقات العلمية والواقعية للرسالة يقود الى جملة من الاسئلة التالية :

١) هل يفهم مما سبق ذكره ، ان تكون كل الادبيات المتصلة بوحدة الامة ورسالتها ، قائمة على اسس علمية وعقلانية وبعيدة عن التعابير المثالية والروحية والايمانية ؟ .

٢) اليس من الجائز والمفيد ان تطرح بعض الافكار بأسلوب عاطفي رومانسي احيانا وبنهج قائم على الايمان والتفاؤ ل والنزعة المثالية والروحية احيانا اخرى ، اذا كان هذا الاسلوب والنهج ، باعثين على تأجيج الحماسة والاندفاع ومؤ ديين الى مضاعفة القدرة على الصبر والتضحية لدى فئات كثيرة من المواطنين ؟ .

٣) هل فيما نلاحظه في ادبيات وتعليمات الحركات السياسية والتاريخية الكبرى وفي بعض الاديان من افكار ونظريات متضاربة كالقدرية والجبرية ، او الاهتمام المتوازن بالقيم الروحية والمادية او بالعقل والعاطفة . . هل في هذا ما

يعبر عن واقعية حية وعن حاجة قائمة ولا بد من مراعاتها لنجاح الحركة ونموها بإرضاء اوسع المشارب والرغبات والعقول البشرية المتفاوتة ، وبحيث يتاح لكل ذي نزعة ، ان يأخذ ما يروق له منها ، فيطمئن قلبه ويندفع بحماسة واخلاص نحو العمل والتضحية في سبيل ما اعتقده صحيحا ؟ الم ينتسب الى حزب البعث اعضاء لاعجابهم باهتمامه بالفكرة القومية والوحدة ، بينما انتسب بعضهم لاهتمامه بالاشتراكية المتميزة عن الماركسية في حين انتمى اليه آخرون لاهتمامه بالاخلاقية والتراث والقيم الروحية ؟ .

لا ريب في ان الهدف الذي يرتبط به ويتطلع اليه المناضل ، يغدو باعثا على النشاط والتضحية بقدر ما يكون هذا الهدف علميا شاملا واضحا متصلا بقيم انسانية حية كالحق والعدل والمساواة . . معبرا عن تطلعات الامة وآمالها ، منسجما مع مفاهيم العصر وسير التاريخ واتجاه التقدم ، مستندا الى تنظيم ثوري محكم ، والى اسس نضالية اخلاقية مثالية ترفض الانتهازية والاقليمية والانانية واللامبالاة . ـ بالاضافة الى الايمان بسلامة الهدف وتنامي الشعور بالمسؤولية تجاهه . وبتوفير هذه الشروط لدى اعضاء الحركة السياسية يرتفع مستواها النضالي الى مستوى الحركات التاريخية الناجحة ، اي الى مستوى الرسالة . على ان الايمان بسلامة الهدف يجب ان يبنى على اساس عقلاني تطوري ولا يجوز ان يكون ايمانا عشوائيا مطلقا ، والا فانه يغدو عامل شلل وتعطيل للقدرة على التفكير

السليم ، وفي هذا اكبر الأذى والضرر لمسار الحركة السياسية . ذلك لان الايمان المطلق بان العقيدة ، اية عقيدة ، حقيقة مطلقة ، يقيد حرية الفكر ان لم يقض عليها ، بل انه يقود الى تعطيل العقل ، وبهذا نكون كما يقول بعض المجتهدين « كأن الله اخذ منا ما وهب واسقط عنا ما وجب » . ومن هنا جاء حرص الحزب وحثه على اهمية النقد والنقد الذاتي ، وعلى السعي لتطوير فكر الحزب وتعميقه .

ان المحك الاساسي لقوة الايديولوجية ، ليس في مدى قبولها من الاكثرية وبخاصة اذا كانت هذه الاكثرية أمية او في مستوى متخلف سياسيا وثقافيا واجتماعيا بل المحك الصحيح ، هو بالدرجة الاولى ، في ان تقبل من الفئات المثقفة الواعية التي لا تسلم بما لا يقبله العلم والعقل ، ولا تؤمن بغير المنهج العلمي سبيلاً لتحقيق الأهداف الضخمة . وبقول وجيز : كل حركة سياسية تاريخية في مستوى الرسالة ، لا تستغني عن الايمان بايديولوجية معينة ، ولكن لكل عصر ولكل حركة اسلوبها في خلق هذا الايمان وبلوغه . فاعتقاد الماركسية بالاممية والمادية التاريخية والصراع الطبقي وبان النظام الرأسمالي يحمل في طياته بذور فنائه ، وان انتصار الطبقة العاملة حتمي . ان هذا الاعتقاد هو نوع من الايمان الراسخ ، يقابله ايمان البعثيين بوحدة الامة العربية ورسالتها وقدرتها على الانبعاث والتجدد ، بالنضال الثوري الواعي المنظم ، وبما ان العصر الذي نعيش فيه ليس عصر الانبياء والمعجزات ، ولا ينفع فيه السحر والفكر

الغيبي والصوفي ، وبما انه يتميز بسمة واضحة هي الاعتماد على العقل والعلم ، فقد اصبح من الضروري مراعاة هذه الحقيقة والاخذ بها . غير ان هذا لا يمنع من القول ان الحركات الثورية الكبرى في التاريخ ، لا يمكن ان تعتمد في كل ادبياتها على العقل والمنطق والقواعد العلمية ، بل يدخل فيها كثير من التعابير والاساليب العاطفية التي تخاطب القلب والمشاعر الانسانية ، وقد يرافقها تعابير انشائية وشعرية وغيبيه مع مبالغات وصور ادبية مثيرة . ولئن كان هذا امرا طبيعيا ومفيدا في بعض الحالات والمواقف ، فان الشيء الهام والضروري هو ان المنطلقات الاساسية الايديولوجية لهذه الحركات يجب ان تقوم على اسس علمية وعقلية ، وان تكون معبرة عن حاجات المرحلة النضالية . وبعدئذ ليس ثمة ما يمنع من طرح تفاصيلها وما يتصل بها باسلوب ادبي وعاطفي ومثالي وما هو في هذا المستوى الذي يحرك المشاعر ويضاعف القدرة على التضحية والبذل . ولنضرب مثلا على ذلك وحدة سورية ومصر عام ١٩٥٨ ، حيث ان الشحن العاطفي والحماسي للجماهير من اجل تبنيها ودفع الحكام لاقامتها ، لم يكن خاطئا ولا ضارا ، بل كان الخطأ والضرر في التقصير بتوفير المضمون الاشتراكي الديمقراطي لها ، وعجز القيادات المسؤولة عن فرض صيغتها الدستورية على اسس علمية وديمقراطية . هب انني استخدمت في حديثي عن الرسالة العربية الفاظا كثيرة كالقدر والروح والايمان و . . . وبالشكل الذي يوحي بأنني من المعارضين للفلسفة

المادية والمؤمنين بالفلسفة المثالية ، فهل يصح الاستنتاج من ذلك ان الحزب يؤمن بهذه الفلسفة ؟ لا اظن ذلك ، اذ لابد من التفريق بما يؤمن به الحزب كمنظمة ، وما يؤمن به اعضاؤه كأفراد وبخاصه فيما يتعلق بقضايا فلسفية ميتافيزيكية . فالعلم مثلا لم يقل بعد كلمته النهائية فيما اذا كانت الحياة ، او طبيعة الكون قائمة على اساس مادي او روحي بحت . ثم ان يؤمن زيد من الناس بالمذهب المادي او بالمذهب الفلسفي المثالي في الحياة ، او ان يميل لهذا اكثر من ذاك ، فهو امر مرتبط به وبقناعته الشخصية . وعلينا ان نحترم مثل هذه القناعات سواء اكانت فكرية او دينية ، والمهم ان نبتعد عن الانزلاق نحو تبني اي من المذاهب والنظريات الفلسفية الميتافيزيكية على انها الحقيقة النهائية التي يمكن الاعتماد عليها والانطلاق منها ، ذلك لان الحياة أوسع واشمل من ان يجيب على حاجاتها ومتطلباتها وتعقيداتها المادية والمعنوية نظريه فكرية محدودة او مذهب فلسفي خاص معين ومحدود ، غير ان هذا لا يمنعنا من القول ان للعوامل المادية والاقتاصدية تاثيرا كبيرا وضخما في حياة الشعوب وتطورها ، كما ان للعوامل الفكرية الروحية والمعنوية كذلك تأثيرها الكبير والضخم ، بصرف النظر عن تحديد النسبة التي تكون اقوى او اضعف لاي من العاملين في مرحلة معينة من مراحل التطور . ثم ان القول بتأثير هذين العاملين المادي والمثالي ، ليس من باب التوفيق والمصالحة بين النظريتين ، بل هو امر يقره الواقع ومنطق العلم وطبيعة الحياة

ومن هنا فان حزب البعث العربي الاشتراكي لا يجانب العلمية والثورية ، بتركيزه على تطوير الحياة الاقتصادية والتكنولوجيه الى جانب اهتمامه بالتراث وبالقيم الروحية الايجابية في حياة العرب وتاريخهم .

لماذا الرسالة العربية
وكيف تتحقق ومتى؟

بقي لنا من القضايا الاساسية المتصلة بالرسالة العربية ان نجيب على التساؤلات الآتية :

* متى تبدأ الرسالة ويتم تحقيقها ، في الحاضر ام في المستقبل ؟
* وكيف تتحقق وما هي اداتها وشروطها ؟
* وما هي مبرراتها والفائدة من طرحها ؟

ثم نخلص في نهاية البحث الى تعريف عام وشامل لرسالة الأمة العربية في ضوء ما تقدم من شرح وتوضيح :

١ ـ متى تتحقق الرسالة :

لقد سبقت الاشارة الى ان الرسالة لا تعني أن ثمة رسالة دينية او حضارية قديمة معينة ، ونريد بعثها او تجديدها واكمالها . اما ما قيل عن ظهور الرسالة العربية باشكال متجددة متكاملة في مراحل التاريخ فانه لا يعني اكثر من التعبير عن قدرة الامة العربية على النهوض بعد الكبو وعلى التقدم بعد التوقف ، وعلى التجدد بعد الجمود كما يفصح عن استعدادها للارتفاع الى مستوى العطاء الايجابي ، والإسهام في بناء الحضارة الانسانية ، اي الارتفاع الى مستوى اداء الرسالة ،

وان ما افصحت عنه في « تشريع حمورابي وشعر الجاهلية ودين محمد وثقافة عصر المأمون » يعبر عن هذه القدرة والاستعداد ، ولكنه ليس هو الرسالة العربية الواردة في شعار الحزب ، اذ ليس المطلوب احياء ما جرى في الماضي وانما بناء الحاضر والمستقبل بالصيغ والاساليب المنسجمة مع مستلزمات هذا العصر ، ولهذا فإن رسالتنا تختلف عما اداه اجدادنا القدماء بالقدر الذي نختلف عنهم في همومنا ومفاهيمنا ووسائلنا . وعندما نقول ان الرسالة العربية بادئة منذ الآن فنعني بذلك النضال الذي تخوضه الامة العربية ضد الامبريالية والصهيونية والعنصرية وضد الرجعية والتخلف ، وفي سبيل الوحدة العربية والاشتراكية ، ولعل هذا يبرز بوضوح في المادة السادسة من المبادىء العامة لدستور الحزب حيث ورد فيها ان الاهداف الرئيسية في بعث القومية العربية وبناء الاشتراكية لا يمكن ان تتم الا عن طريق الانقلاب والنضال وان الاعتماد على التطور البطيء والاكتفاء بالاصلاح الجزئي السطحي يهددان هذه الاهداف بالفشل والضياع ، لذلك فهو يقرر :

أ ـ النضال ضد الاستعمار الاجنبي لتحرير الوطن العربي تحريرا مطلقا كاملا .

ب ـ النضال لجمع شمل العرب كلهم في دولة مستقلة واحدة .

ج ـ الانقلاب على الواقع الفاسد انقلابا يشمل جميع مناحي الحياة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وهكذا فالرسالة العربية في هذه المرحلة التاريخية هي نضال العرب باسلوب انقلابي (ثوري) للتحرر من الامبريالية واعوانها ، ولتغيير واقع المجتمع العربي الضعيف المجزأ المتخلف ، تغييرا جذريا شاملا وصولا الى المجتمع الاشتراكي الديمقراطي الموحد ، واعادة الامة العربية الى وضعها الصحي المتطور الذي يرفعها الى مستوى الامم الراقية ويعزز قدرتها على العطاء والاشعاع الحضاري ، ويمكنها من الاسهام الفعال في تجديد القيم الانسانية ، وبذلك تبرز ثمرات الانقلاب . ولا ريب في ان انتصارها في هذا النضال سيوفر لها القدرة على التقدم والرقي وصيانة القيم الانسانية الايجابية وتجديدها ، وبقدر ما يتحقق لها من نصر وتقدم وازدهار تستطيع ان تؤدي دورها الحضاري وان تمارس رسالتها القومية والانسانية على افضل وجه ممكن . ومن هنا نستطيع القول ان الرسالة اذا كانت بادئة في الوقت الحاضر فأن فعاليتها ومستواها الرفيع لن يبرزا الا في المستقبل . حيث يتوفر للامة الوضع الصحي السليم الراقي . ولان تحقيق « حرية العرب ووحدتهم واشتراكيتهم هي التي ستؤدي الى بعثهم وجعلهم امة حية تساهم في تقدم الانسانية » .

ونحن عندما نقول (امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) فأننا لا نقرر حقيقة واقعة وكاملة منذ الآن ، بل نشير الى وحدة اللغة والمشاعر والعواطف المشتركة بين العرب في حين ان الوحدة السياسية بمضمونها الاشتراكي الديمقراطي

الذي يفجر الطاقات ويبعث على القوة والتقدم ، لم تتحقق بعد ، ولا تزال هدفا اساسيا يطلب تحقيقه بالنضال ، أي ان تحقيق النصف الأول من شعار الحزب يحتاج الى نضال طويل وتضحيات جسيمة ، وصراع مرير مع الامبريالية والصهيونية والرجعية وكل اعداء الوحدة . وهكذا فإن مجاله هو المستقبل رغم ما يستوجبه من جهود في الحاضر . اما الشطر الثاني من الشعار (ذات رسالة خالدة) فأنه اكثر ارتباطا بالمستقبل فكلما تقدم العرب نحو تحقيق وحدتهم وقوتهم ونهضتهم ، اقتربوا من الرسالة او بالاصح اصبحوا اكثر قدرة على ادائها والقيام بأعبائها .

قد يبدو نوعاً من الوهم والخيال ان تتبنى امة مجزأة متخلفة ضعيفة ، اهدافا ضخمة ترمي الى تجديد القيم الانسانية ، وان تطمح لتجاوز النظامين الرأسمالي والشيوعي الى ما هو افضل واكمل ، ومن ثم الاسهام الجدي في تطوير الحضارة البشرية وانقاذها من امراضها وانحرافاتها . وهذه الامة عند اصحاب هذه النظرة كالطبيب الذي يداوي الناس وهو عليل . ولكن هذا التشبيه صحيح في ظاهره ـ ولأول وهلة وخاطىء في حقيقته وعند التدقيق به ، لأنه صادر عن موقف يتجاهل الطاقات العظيمة الكامنة في النفس البشرية ولدى الشعوب الحية المناضلة وينبعث عن نظرة متشائمة ولا تقيم كبير وزن للثقة والايمان بإمكانات التطور عند الانسان الحر المصمم على التقدم ، ويتجاهل الحكمة القائلة : «ان الاعماق تبدأ من

الشواطىء . ويكفي للبرهان على خطئه ان نذكر بما يلي : الم يستخف كثيرون بدعوة الرسول العربي الى الاسلام في بداية الدعوة ، ويوم كان يتوجه بدعوته الى الناس كافة ؟

ومن كان يظن بان شعبنا العربي في الجزائر ، عندما بدأ بالثورة افراد قلائل ، بانه قادر على دحر فرنسا وحلف الاطلسي من ورائها ، وقادر بالتالي على نيل حريته واستقلاله ؟ ومن كان يظن أن شعب فيتنام الصغير الفقير المتخلف بوسائله وامكاناته ، كان قادراً على دحر اقوى دول العالم واكثرها جبروتا وغطرسة ، وهي الولايات المتحدة الامريكية . ومهما قيل عن الظروف الدولية والدعم الدولي لهذا الشعب ، فان النقطة الأولى والجوهرية في هذا الانتصار ترتبط بارادة الشعب الفيتنامي وتصميمه على تحرير نفسه وبلاده . . ومن كان يظن ان افكار ماركس ستمتد الى هذا الحد من الاتساع والقوة والانتشار ؟ بل من كان يظن أن حزب البعث الذي قوبل عند نشأته بالاستخفاف واتهام اعضائه الأوائل بالطفولة والمثالية والطوباوية ، بانه سيمتد الى مختلف الاقطار العربية ويتسلم الحكم في قطرين عربيين ، ويصبح ذا وزن مرموق على الصعيدين العربي والدولي ؟ .

واخيراً وليس آخراً ، هل يصح أن ننكر على الامة العربية ، قدرتها على الابداع والاسهام الحضاري الفعال ، وهي التي سبق لها ان قدمت الأدلة العديدة على ذلك في مراحل كثيرة من حقب التاريخ ؟ واذا كان من حق هذه الامة ، ومن

حقها فعلا ، ان تطمح لتحقيق وحدتها وتقدمها ، وكانت الاحداث مشيرة الى مشروعية ذلك وامكانيته ، فيصبح من الطبيعي عندئذ ان ترتفع الى مستوى الرسالة الذي يمكنها ايضا من خدمة الأهداف الانسانية .

٢ ـ اداة تحقيق الرسالة وشروطها :

ما دامت الامة العربية تعبر عن رسالتها في طموحها ونضالها لتحقيق انبعاثها الجذري الشامل ، وفق اهداف سامية ضخمة ، قومية وانسانية ، فلا بد ان تكون الاداة المكلفة بتحقيق ذلك في مستوى هذا الطموح والاهداف ، وإلا وقع الانفصام والتباعد بين الاداة والغايات ، اي بين الوسائل والمثل الاعلى المنشود . والحزب العلمي الثوري الحي ، ليس الذي يقدر على خلق وسائله المتكافئة مع اهدافه فحسب ، وانما هو الذي يستطيع ايضا تحقيق الانسجام والتوازن فيما بينها ، ويغدو « كالامه الصافية السليمة الراقية التي يريد أن يبعثها » ويستطيع ان يختصر الزمن ويفجر الطاقات النضالية الكامنة في نفوس الجماهير المحرومة ، ويوظفها في خدمة اهدافه . ومن هنا جاء الحاح حزب البعث العربي الاشتراكي على اهمية التنظيم واعتباره باهمية الايديولوجية ولا ينفصل عنها . اما نظرته الى الشروط التي يطلب توفرها في الاداة المكلفة بحمل الرسالة وادائها فتتلخص فيما يلي .

١ ـ وضوح الاهداف وقوة جاذبيتها للجماهير ، من

خلال شعورها بصدق تعبيرها عن حاجاتها ، وملاءمتها لاتجاهات العصر الحديث ، ولمنطق التطور والتاريخ والعلم . وهذا ما يعتقد الحزب بانه متوفر في اهدافه ومبادئه وادبياته .

٢ ـ اعتماد الاسلوب العلمي الانقلابي الثوري ، واعتبار الجماهير اداة النضال وغايته ، واتخاذ النضال الواعي المبرمج وفق ايديولوجية واضحة ، سبيلا لتثوير الجماهير وقيادتها ، والافادة من طاقاتها الحبيسة ، بسبب التجزئة والقهر والتخلف والاستغلال .

٣ ـ ظهور جيل عربي جديد واع لرسالته ومهمته التاريخية ، شاعر بالمسؤولية الضخمة الملقاة على عاتقه يفضل اداء الواجب على طلب الراحة ، شديد الثقة بنفسه وبقدرة امته وحقها في التحرر والوحدة والتقدم ، يرتفع بوعيه وايمانه ، وباخلاقه ونضاله الى الحد الذي يشعر معه بلذة التعب والتضحية في سبيل مبادئه ورسالته .

كان الحزب منذ نشأته ، يعتبر نفسه اداة الانقاذ والانبعاث وتحقيق الرسالة العربية، ففي التوصية الأولى من توصيات المؤتمر القومي الرابع ، نطالع ما يلي :

« يؤكد المؤتمر ايمانه بان حزبنا حركة أصيلة في حياة الامة العربية ، مسؤولة عن حاضرها ومستقبلها ، لا حركة مرحلية غايتها تحقيق الاهداف المنصوص عليها في الدستور او تحقيق جزء منها ويدعو المؤتمر القيادة القومية الى العمل

والنضال من اجل بناء الحزب بناء ثوريا يجعله في مستوى رسالته ومسؤ ولياته القومية » .

هذا بالاضافة الى انه كان يؤكد باستمرار على ان طريقه طويلة وشاقة ، وانه يعمل بنفس طويل ويناضل لعشرات السنين ، وكان يوصف احيانا بانه حركة باعتبارها اعم واشمل من مفهوم الحزب ، فيقال عنه حركة تاريخية وليس لمرحلة معينة. كما يوصف احيانا اخرى بانه الانقلاب ، او بانه يحمل رسالة لا سياسة ، كما كان يشدد على ان يكون البعثيون القدوة والطليعة القادرة بوعيها واخلاقها وتفوقها النضالي والقيادي ، على تحقيق اهداف البعث ورسالته . ومن هنا جاءت نظرته الى الاحزاب التقليدية العادية على انها عاجزة عن تمثيل طموحات الامة فضلا عن تحقيقها والارتفاع بها الى مستوى الرسالة ، وذلك بسبب من افتقارها للايديولوجية العلمية الثورية ولمنطقها الاصلاحي التطوري البطيء ولانتهازية قادتها ورخاوة تنظيماتها .

على ان هذه النظرة لا تنطلق من نزعة الادعاء والاستعلاء ولا من رغبة الاستضعاف والاستخفاف بالقوى السياسية الاخرى ، فكل جهد يبذل او نضال تمارسه فئة او تنظيم يصب في خدمة الاهداف الاساسية لهذه المرحلة التاريخية ، وهي الوحدة والحرية والاشتراكية . وفضح الامبريالية والصهيونية والرجعية واضعافها ، هو في الحقيقة ومن حيث النتيجة ، جزء من الرسالة العربية وخدمة لها بالحجم الذي يسهم فعلا

بتقريب الامة العربية من اهدافها وتحقيق الشروط والظروف الموضوعية لاداء رسالتها .

٣ ـ مبررات الرسالة وفوائد طرحها :

في النصف الأول من الاربعينات ، وبخاصة في اثناء التظاهرات وقبل ان يكتب عن شعار الرسالة الخالدة اي شرح او توضيح ، كان مجرد ترديده يترك في نفوسنا تأثيرا عظيما يتجاوز تأثير الشعر في نفس العربي ، ليصل الى نوع من الترنم الممزوج بالحماسة العارمة والاندفاع القوي والانفعال الشديد . صحيح ان مفهوم هذا الشعار لم يكن واضحا في اذهاننا ووعينا في تلك المرحلة ، كما هو اليوم ، وصحيح ان فهمنا له لم يكن يتعدى الايمان بأن لامتنا العربية طاقات غنية تحبسها التجزئة وعوامل القهر والتخلف وبانها ستصبح بتحقيق اهداف البعث قادرة على الابداع والاسهام في بناء الحضارة الانسانية وتطويرها ، ولكن من الصحيح ايضا ان هذا المفهوم على بساطته ، مع الايمان بصحته ، كان كافيا لتوليد هذه الانفعالات العاطفية والاندفاعات الحماسية الهائلة . والحق انه كلما كانت فكرة الرسالة ومضمونها وغايتها واضحة وعلمية ، اعطت النتائج المرجوة في رفع مستوى الايمان والاندفاع والشعور بمسؤولية النضال والتضحية ، وبخاصة لدى فئة المثقفين . غير اننا نستطيع القول بصورة عامة ، ان اية فكرة او نظرية قومية انسانية تتمكن ـ بمضمونها او باسلوبها ، من

استقطاب اعداد كبيرة من المناضلين الواعين ، ومن اجتذابهم اليها بعنف ، ومن ثم رفع قناعتهم بها الى ما يشبه قناعة المتصوفين بعقائدهم ، فانها تكون من حيث النتيجة فكرة صائبة ودافعة للهدف الذي تسعى اليه . ومن هنا فان ايمان الانسان بالتطور وبحتمية التقدم للشعوب المناضلة امر نافع ومفيد ، وان المطالبة بان تكون للامة العربية رسالة انسانية ، امر غير مستهجن وليس منافيا للعلم والمنطق ، كما انه ليس ثمة ما يتعارض مع العقلانية والعلمية ، اذا ما ناضل المواطن وهو واثق من امكانات امته ومؤ من بوجوب تقدمها ، واخذها الدور اللائق بما تطمح اليه من المجد والسؤ دد .

ولا ريب ان المضمون الاشتراكي الديمقراطي للوحدة والاسلوب العلمي الثوري لايديولوجية حزب البعث العربي الاشتراكي ، قد اكسباها القوة ، وشكلا الارضية الصلبة التي مكنتها من النمو والاستمرار . ولكن فكرة الرسالة بافاقها وسماتها ومنطلقاتها التي سبق ذكرها ، تضفي على هذه الايديولوجية بعدا أنسانيا واخلاقيا وحضاريا ، يجعل ما فيها من مثل اعلى اكثر حيوية وجاذبية ، كما تعطيها مبرر الطموح للارتفاع الى مستوى الرسالات والحركات التاريخية الكبرى .
هنالك فرق كبير بين ان يرتبط طموح الحزب او مثله الاعلى بالواقع المنظور وبامكاناته الراهنة الملموسة ، بحجة الواقعية او الاعتقاد بان العمل سياسي ، وان السياسة هي فن الممكن ، وبين ان يرتبط الطموح بالامكانات الضخمة الكامنة غير

المنظورة للامـة ، مع الايمـان بامـكانية تثويرهـا واستخدامهـا لتسريع الزمن وبناء المستقبل الافضل وخدمة الانسانية . ولعل تاريخ الافراد والشعوب حافل بالامثلة التي تؤكد ان من يعمل بما هو متيسر وسهل لن يحقق غير ما هو سطحي عادي . وان من يعمل لامر عظيم صعب ، يحقق منه بالقدر الذي يبذل فيه من جهد وتعب ، ذلك لأن قانون الحياة الذي لا يخطىء ، هو ان المجد بقدر الجهد . وان الأمل الكبير لا يتحقـق الا بالنضـال المرير مع ثقة بالنفس مطلقة . ولقد صدق المتنبي واجاد حين قال :

على قدر اهـل العـزم تأتـي العزائم
وتأتـي على قدر الـكرام المكارم
وتعظم في عـين الصغـير صغارها
وتصغـر في عـين العـظيم العظائم

وبقـول وجيز : ان فكرة الرسالة في شعار البعث ومبادئه تقدم لايديولوجيته نكهة جديدة وافاقا واسعة ، غير متوفرة في الاحزاب العادية والتقليدية ، وتسهـم في رفعهـا الى مستـوى تاريخي حضاري وانسانـي . وبالتـالي تصبـح اكثـر قدرة على تزويد المناضـل بالحماسـة اللازمـة ، ومـده بالزخـم الثـوري المطلـوب ، فيتضـاعف مردوده وتنمـو قدراتـه على الصمـود والتضحية والعطاء .

المعنى العام الشامل للرسالة : هي ان يكون للامة اهداف قومية وانسانية عظيمة وسامية تعبر عن طموحها وارادتها في التقدم . وطليعتها الواعية الثورية هي التي تستوعب الواقع بآلامه وتحدياته ، وتبلور اهداف الامة في ايديولوجية علمية واضحة ، كما تخلق اداة تحقيقها ، اي التنظيم المتكافىء معها ، والعامل على بلوغها ، بأساليب علمية ثورية ، بالاضافة الى قيادة الجماهير وتفجير طاقاتها الكامنة .

والرسالة العربية هي نزوع الامة العربية ، ونضالها الواعي المنظم ، من اجل التغلب على واقعها الضعيف المجزأ المتخلف ، وللتحرر من كل اشكال الظلم والاستغلال ، والتسلط التي تمارسها الصهيونية والامبريالية والرجعية الحاكمة ، ولاقامة الدولة الديمقراطية الاشتراكية الموحدة واطلاق المواهب والطاقات الحبيسة باتجاه البناء والعطاء والابداع ، وفي سبيل الاسهام الفعال في صرح الحضارة البشرية ، وتعزيز القيم الانسانية الايجابية وتعميقها ، وتجاوز الاخطاء والنواقص القائمة في كلا النظامين الرأسمالي والشيوعي ، وتدعيم التعاون بين الشعوب على اساس من الحق والعدل والمساواة ، وتوطيد الامن والسلام والرفاهية والتقدم بين الامم .

مقتطفات ونصوص

من معاني الرسالة العربية

من معاني الرسالة العربية

١ ـ بمعنى الواجبات والمهمات النضالية :

* « يعتمد الحزب في اداء رسالته على الشعب ويسعى للاتصال به اتصالا وثيقاً » (دستور الحزب) .

* البعث حركة رسالتها النضال في سبيل ظفر هذه الحقيقة أي اهداف البعث (في سبيل البعث ـ ميشيل عفلق ص ١٦٥) .

* فالمطلوب من جيل الشباب المناضل في المغرب ، ان يتابع الرسالة لكي يلتقي شطرا الوطن العربي (المصدر السابق ص ١١٤ ـ ويمكن الرجوع ايضاً الى الصفحات ٣٧ ، ٣٨) .

* ان حزب البعث العربي الاشتراكي الواعي لرسالته لا يمكن ان يسكت عن التبريرات التي يراد بها استبعاد الوحدة (نضال البعث عبر مؤتمراته القومية ص ١٢٥ وراجع ايضاً ص ١٤٠) .

٢ ـ بمعنى مبادىء البعث واهدافه الانقلابية :

* إن القدر الذي حملنا هذه الرسالة خولنا ايضاً حق الامر

والكلام بقوة والعمل بقسوة (في سبيل البعث ـ ميشيل عفلق ص ٢٧) .

* كان على المؤتمر القومي الثالث ان يؤكد قدرة الحزب على الاستمرار كحزب ثوري في مستوى الاهداف ومستوى الرسالة التي رعاها لنفسه (نضال البعث عبر مؤتمراته القومية ص ٦٢) .

* من حق حزبنا الذي يجب ان يكون ايماننا به وبرسالته ، ايماناً قوياً رغم كل العثرات (المصدر السابق ص ١٤٦ من كلمة للاستاذ عفلق في المؤتمر القومي الخامس) .

* الرسالة ليست الا الانقلاب وثمراته (معركة المصير الواحد ـ ميشيل عفلق ص ٢٢) .

* « البعث هو الانقلاب » (المصدر السابق ص ٣٩) .

٣ ـ بمعنى الحضارة اعمق واشمل :

* فالعرب يتغذون من الحضارة العالمية ويغذونها . . . الخ (المبدأ الثالث من دستور حزب البعث عن رسالة الأمة العربية) .

* فنحن لا نفهم من الرسالة انها الحضارة التي لا نستطيع الآن تحقيقها ، الرسالة شيء اصدق واعمق من ذلك . انها تجربة حية اخلاقية ونفسية تقوم بها أمة عظيمة ، وتضع في هذه التجربة كل حياتها (في سبيل البعث ص ١٤٨) .

* وعندها لا تكون الرسالة حضارة فحسب وانما كنزاً روحياً (المصدر السابق ص ١٤٩) .

* التجربة الحالية للأمة العربية مع الاساس الروحي القديم ، تخلق المناعة بان الحضارة العربية الجديدة ستكون مختلفة عن الحضارات التي عرفتها الانسانية ، وستكون لها قيم جديدة . . وهذا ما نسميه الرسالة العربية (البعث والتراث ـ ميشيل عفلق ص ١٠١) .

٤ ـ الرسالة ايمان :

* وهذا الأصل (للإصلاحات) نفسي قبل كل شيء : هو ايمان الأمة برسالتها وايمان ابنائها بها : في الاسلام كان الايمان بإله واحد هو الأصل وعنه تفرعت كل الاصلاحات التي طرأت على المجتمع العربي وقلبته (في سبيل البعث ص ٥٩) .

* نفسية الانقلابي هي نفسية التفاؤ ل والايمان ، أي يؤ من بان الانقلاب قدر تفرضه شروط التاريخ ومواهب الأمة نفسها ، ويؤمن بان الشعب مستعد لتلبية هذا الانقلاب (المصدر السابق ص ١٨٣) .

٥ ـ الرسالة بمعنى بعث الأمة وتحقيق وحدتها وتحررها :

* هذه الأمة تريد ان تتحرر من الاجنبي وان توحد اجزاءها وتنهض من تأخرها لتستطيع تحقيق امكاناتها كلها ،

وتسترجع هكذا رسالتها الخالدة بين الأمم (المصدر السابق ص ٧٧) .

* الرسالة العربية اليوم هي في ان يتطلع العرب الى بعث امتهم . فهذا خير ما يقدمونه للانسانية ، لأن القيم الانسانية لا يمكن ان تخصب وتثمر الا في أمة سليمة (المصدر السابق ص ١٤٥) .

* إن حرية العـرب ووحدتهـم واشتراكيتهـم هي التـي ستؤدي الى بعثهم وجعلهم أمة حية تساهم في تقدم الانسانية (نضال البعث عبر مؤتمراته القومية ص ٤٢ ط ١ ١٩٧١) .

٦ ـ بمعنى المعاناة النضالية والتجربة الحية للأمة :

* الرسالة ليست شيئاً جامداً منفصلاً عن نفوس ابناء الأمة وحياتها وتجاربها ، انها هذا الاقبـال من العـرب على معالجـة مصيرهم وحاضرهم معالجة جدية جريئة ، وهـذا القبـول بان تكون نهضتهم نتيجة التعب والالم . هذا التحسس بالافات والمفاسد التي انتابت حياتهـم ومجتمعهـم ، هذه الصراحـة في رؤ ية عيوبهم ، هذه الجرأة في الاعتراف بها ، وهذا التصميم الرجولي على ان ينقذوا انفسهم بقواهم الذاتية غير معتمـدين على قوى اجنبية او على سحـر . هذه التجربـة المرة المملوءة بالكوارث (في سبيل البعث ص ١٤٦) .

* الرسالة . . . تجربة حية اخلاقية ونفسية ، تقوم بها أمة

عظيمة وتضع في هذه التجربة كل حياتها . انها تدخل هذه التجربة بايمان وتسعى للتغلب على كل المفاسد بنفسها وبقواها الذاتية (المصدر السابق ص ١٤٨) .

٧ ـ طموح وتطلع الى مثلى اعلى :

* الرسالة شيء ملازم للأمة ، ومن حقها ان تطمح الى بلوغها كما يحق لكل فرد ان يطمح الى المروءة والبطولة (المصدر السابق ص ١٣٩) .

* ان الرسالة يجب ان تفهم على انها نزوع واستعداد اكثر من كونها اهدافاً معينة محددة (المصدر السابق ص ١٤١) .

سمات الرسالة واداتها وزمن تحقيقها

١ ـ سمات الخلود والتجدد والتكامل والعمل التاريخي :

* الرسالة العربية تظهر باشكال متجددة متكاملة في مراحل التاريخ . . . (دستور حزب البعث) .

* العمل ليس عادياً آنياً بل تاريخيٌ، وليس سياسة بل رسالة ، لأنه مكلف بتصحيح انحراف عصور عديدة ماضية ، وتهيئة انبعاث للأمة يؤتي اكله في عصور عديدة مقبلة (في سبيل البعث ص ٧١) .

* الرسالة الخالدة هي الا تعترف الأمة العربية بواقعها السيء ، بل تصر على انها لا تزال هي في جوهرها تلك الأمة

التي بلغت في ازمان متعددة مختلفة من التاريخ درجة تبليغ رسالتها (المصدر السابق ص ١٤٠) .

* وهل الرسالة شيء ينتهي في وقت ما أم انها تتجدد وتتكامل مع الحياة (المصدر السابق ص ٤١ راجع ايضاً ص ١٤٠) .

* « والاسلام اذن كان حركة عربية ، وكان معناه تجدد العروبة وتكاملها . . . والمسلم في ذلك الحين لم يكن سوى العربي ، ولكن العربي الجديد المتطور المتكامل » (المصدر السابق ص ٥٥) .

* وثورة الجزائر مقياس حيوية الأمة العربية ، وقدرتها على التجدد والابداع . . . وقد اعطت اروع الدليل على حيوية الأمة العربية وخلودها (معركة المصير الواحد ـ ميشيل عفلق ص ١٠١ ثم ١٨٧) .

٢ ـ حزب البعث والجيل الجديد اداة الرسالة :

* والحزب الحقيقي ، الحزب الحي الذي يمكن ان يؤدي رسالة في العصر الحاضر للأمة العربية ، هو الذي يجعل هدفه خلق أمة او بعثها شرط ان يحقق هذا الوصف في نفسه اولا ، أي ان يكون هو أمة مصغرة للأمة الصافية السليمة الراقية التي يريد ان يبعثها (في سبيل البعث ص ١٥٥) .

* يدعو المؤتمر القومي الرابع ، القيادة القومية الى العمل

والنضال من اجل بناء الحزب بناءً ثورياً ، يجعله في مستوى رسالته ومسؤ ولياته القومية (نضال البعث عبر مؤ تمراته القومية ص ٩٨) .

* وما الجيل العربي الجديد الذي بلغ هذا الوعي الانقلابي ، فانتظم في العمل النضالي المتكافىء مع وعيه ، إلا حزبنا باعضائه المناضلين وانصاره (معركة المصير الواحد ص ٢٣٠) .

٣ ـ زمن تحقيق الرسالة :

* الرسالة العربية الخالدة هي في فهم هذا الحاضر ، وتلبية ندائه والاستجابة لضروراته . والخلود ليس بعيداً في الأفق او خارج نطاق الزمن (في سبيل البعث ص ١٤٥) .

* رسالة العرب الخالدة ليست للمستقبل وانما هي الآن في طور التحقيق (المصدر السابق ص ١٤٦) .

* هذه الحركة القومية تؤ من بان للأمة العربية رسالة في هذه الحياة ، تؤ ديها للانسانية ، كما سبق لها في ماضيها العريق ان فعلت (المصدر السابق ص ١٠٧) .

* وانهم العرب سيحملون ثماراً روحية وخلقية وفكرية ، لا تغذي مستقبلهم فحسب ، وانما بمقدورها ان تنقذ الانسانية ، مما ينتابها من اضطراب في القيم ومن تشويه فيها (المصدر السابق ص ١٤٧) .

آفاق الرسالة ومراميها

١ ـ مرامي الرسالة :

* الرسالة العربية ترمي الى تجديد القيم الانسانية وحفز التقدم البشري وتنمية الانسجام والتعاون بين الأمم (دستور حزب البعث) .

* وبذور رسالتها الانسانية : تحقيق الحرية الفعلية للفرد وللمجموع ، للعرب وللعالم ، وتحقيق تعاون حر بين شعوب اشتراكية حرة (معركة المصير الواحد ـ ص ٧٧ وراجع ايضا الصفحات ـ ٢٩ ـ ٣٢ ـ ٤١ ـ ٧٨ ـ ١٥٤) .

* وهي عند الأمة ان تخرج من نطاق النشاط المادي والانانية الضيقة ، وترتفع الى مستوى التوجيه الانساني والاشعاع على غيرها من الأمم (في سبيل البعث ص ١٣٩) .

* ان حرص العرب على رسالتهم الخاصة وعلى استقلال شخصيتهم لا يعني منهم تعصباً ورغبة في الانعزال والجمود (المصدر السابق ص ١٩٨) .

٢ ـ الآفاق الانسانية للرسالة :

* لا يُعطى معنى الرسالة لشيء ضيق اناني وانما لا بد لها من المعنى الانساني الشامل الخالد « المصدر السابق ص ١٨١) .

* ورد في دستور الصين الشعبية ، انها تحدد سياستها على أساس المساواة بين الشعوب والمنفعة المتبادلة والتعايش السلمي ، والأممية البروليتارية ، ودعم الأمم المظلومة والشعوب المضطهدة ، والنضال لتحرر البشرية وتقدمها (الدستور الذي أقره المجلس الوطني الخامس لنواب الشعب في ٥/ ٣/ ١٩٧٨) .

* ورد في تصريح للرئيس الأمريكي ويلسون « اكثر الناس قومية هو الذي يتمنى ان تكون أُمته اعظم الأمم ، واعظم الأمم هي التي تقوم بواجبها وتؤدي رسالتها بين سائر أُمم العالم . ان الأمة التي تمتلك مثل هذه الرؤيا ترتفع الى مرتبة من التأثير والقوة لا يمكن ان تبلغها بقوة السلاح ، اوعن طريق المنافسات التجارية ، او بأية وسيلة اخرى ، وانما بالقيادة الروحية النابعة من تفهم عميق لمشكلات الانسانية » (الامبراطورية الامريكية كلود جوليان ص ٦٠٥ - ترجمة ناجي ابو خليل دار الحقيقة بيروت ١٩٧٠) .

٣ - تجاوز الرجعية والنظامين الشيوعي والرأسمالي :

* كان حزب البعث العربي الاشتراكي حرباً على الرجعية والمثالية النظرية التي تحول دون نمو وتقدم الانسان العربي وتعمل للابقاء على الحركة العربية مجمدة ميتة في قوالب شكليات التجارب العربية السابقة ، وعزل العرب عن العالم اوالحاقهم باحدى القوى الاجنبية ، وقطع الطريق على دورهم

في تصفية الاستعمار وبناء انسانية متحررة . ومن اجل هذا كان حزب البعث حرباً على الشيوعية التي تخنق حرية الانسان وقيمه الاخلاقية ، وتجمد الحركة العربية في قوالب تجربة انسانية اخرى وتلحقها باحدى القوى الاجنبية وتقطع الطريق على تجربتها وشخصيتها الخاصة وتفقدها ، وتفقد الانسانية غنى هذه التجربة وخصائصها (نضال البعث عبر مؤتمراته القومية ص ٥١ ـ ٥٢ ـ المؤتمر القومي الثالث) .

* سيستمر على الصعيد الفكري نضالنا العقائدي لفضح الانحراف الشيوعي وتوضيح الاختلاف النظري والعملي لأسس انطلاقة العرب التحررية ، مع الحركة الشيوعية وتجاوزها لنواقص وحدود هذه الحركة ، كما سيضاعف الحزب جهوده لنشر مفهومه للاشتراكية ونظرته للديمقراطية والانسان والتاريخ (المصدر السابق ص ٥٧) .

* اعداء الشعب هم « اولئك الذين يعادون الفكر والعلم والتطوروالتفتح والتسامح ، والذين يقاومون او يحولون دون تحرر أمتنا » (نضال البعث عبر مؤتمراته القومية ص ١٧٤) .

* اننا لا نستطيع ان نسيطر على الواقع الفاسد بالتمني او الافتراض وانما بالعمل وسط هذا الواقع . . ويتحتم علينا ان نتسلح دائماً بوعي ثوري يضبط لنا اتجاهنا ويحدد لنا مواقفنا . ولا يمكن ان نجد هذا الوعي الثوري المطلوب في الحدس والالهام ، كما لا يمكن ان نجده لدى فرد او قيادة اخلصت

نيتها وغرقت بصعاب السياسة ومنعطفاتها بمعزل عن الحزب والشعب . وانما يكون هذا الوعي في نظرية للعمل والنضال ، ثم يشير الى الاستفادة من الدراسة الماركسية للواقع دون الاكتفاء بها والى اهمية التحليل العلمي للواقع وقوانينه . (المصدر السابق ص ١١٤ ـ من تقرير للمؤتمر القومي الرابع) .

* ان شعار البعث العربي « أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة » لئن لم يكن قد اتى بنظرية فانه يوحي اتجاها . فالكلام عن الرسالة والتفكير فيها لا يكونان مشروعين وجديين إلا على نطاق الوحدة ، ذلك لأن الانقلاب لا يكون كذلك مشروعاً ولا جدياً إلا على نطاق الوحدة ايضاً والرسالة ليست إلا الانقلاب وثمراته . . . كما ان الوحدة العربية فكرة جوهرية لها وعيها الذي يجب ان يوضح ويعمم حتى يلهب النفوس ويقوم التفكير ، فهي كذلك عمل له تنظيمه الذي يجب ان يحكم ويتسع حتى يسطر على الظروف ويقلب الاوضاع . إذن فليست الوحدة عملاً آلياً تتم من نفسها نتيجة للظروف والتطور . فالظروف لا تخدمها والتطور يسير معاكساً لها . (معركة المصير الواحد ص ٢٢ ـ ٢٤) .

* عملنا السياسي : قومي عربي في فكرته ، نضالي انقلابي في اسلوبه ، مثالي مطلق في روحه . (البعث القومي في الأمة العربية ص ٨ من مقال نحن والسياسة ميشيل عفلق) .

* نحن نؤمن بفكرة سابقة لكل عمل ، موجودة فينا منذ البدء وما عملنا الا نتيجة شعورنا الواعي بها ، وهي اننا ننتسب الى أمة عربية عريقة بين الأمم ، في امكانها خلق حضارات حية تعبر عن نزعتها الى الخلود . وهذه الفكرة لها وجودها المطلق ، وليس عملنا السياسي هو الذي قادنا اليها . . . ونحن نبدأ من مثل اعلى كله خير وبطولة لنرفع الواقع اليه ونجعلـه متناسباً معه . (المصدر السابق ص ١٠ لا تاريخ للطبع والمطبعة) .

